

الفن النظامي " Systemic Art "

لم يعد بالإمكان للفن والعلم أن يتجاهلا بعضهما البعض ، فالحياة المعاصرة وتطورها جعل هذين المجالين يتجانسان أكثر فأكثر ، فارتبط الفن بسائر العلوم المعاصرة، إلا أن استخدام الرياضيات قديمة جدا في عملية الرسم على سبيل المثال ، يعود الى القرن السادس قبل الميلاد، وذلك في ربط علاقة الأرقام بالأشكال. أما في عصرنا الحديث فقد استخدمت الرياضيات بشكل مختلف تماما عن الماضي، ففي بداية القرن العشرين ربط الفنان التجريدي بين تحليل الشكل والرياضيات من خلال خلق علاقات حسابية بسيطة أو علاقات طردية ومعادلات رياضية معقدة. فحاجة الفنان الى استخدام مثل هذه العلوم هي التي تحتم عليه، فلكي يستطيع أن يقدم عملا ذا معنى يجب أن يفهم اولاً..

ومن هنا نشأ الفن النظامي Systemic Art ، إيماننا من النظاميين أنه ليس شرطا للعمل الفني أن يكون مجردا أو ان يكسر الابعاد ويجردها - كما كان سائدا في تلك الفترة- بل يمكن تقديم عملا فنيا جديدا على شكل لوحة مسطحة ، والذي ينتج عن قاعدة عقلية لها علاقة بعلم عصرنا.

وعن سبب تسمية " بالفن النظامي " ذلك لأنه فن يتسم بالترتيب والتهديب، فهو يقوم على عناصر رياضية منطقية أو فكرية دقيقة، وهذا النظام الهندسي صارم في استخدام العناصر كاللون والشكل. لذلك لا يستوعب أية أخطاء لا تنتمي للنظام.

الفن النظامي هو ذلك الفن الذي أسسه وابتدعه الفنان والناقد "Lowrence Alloway" وسماه في عام 1960 م ؛ لأنه يعتمد على استراتيجية النظام والترتيب الممزوج مع دلالات الطبيعة، ففي عام 1966م نظم معرضا بعنوان الرسوم النظامية " Systemic Painting " في متحف (Solomon R. Guggenheim) بنيويورك، قدم هذا النوع من الفن في شكل فن تجريدي ذو سمات مميزة، بإستخدام أشكال موحدة بسيطة جدا، أقرب ما تكون للهندسة، إما في شكل رموز مركزية أحادية، أو في شكل نظام مرتب متكرر وفق قاعدة نظامية تعتمد على شروط منظورية واضحة، كانت تلك الاعمال توصف بأنها فرع من (Minimal Art) لكن "Alloway" وسع نظام حدودها لتغطي جميع حقول ألوان الفن. (1)

لخص "Alloway" الفن النظامي بكلمات: " أسلوب ، تبادل، تجميع، توالد، تكرار "

إقترن اسم الفنان الأمريكي "Sol Lewitt - b. 1928" بالفن النظامي، في كتب تاريخ الفن الحديث، فقد ابتدع في أحد أعماله متتاليات مينمال (Minimalism) مكونة من مكعبات متماثلة مفتوحة مصنفة من شكل متناسب ذو وحدات كبيرة. هذه المكعبات تتزايد بمعدل، حتى يسودها الطابع الهندسي المفرغ الذي يحويها (كما في الصورة).

في مثل هذه الاعمال تكون خطوط المكعب الخارجية هي الجوهر الفيزيائي لها، في حين أن المكعبات ذاتها تكون مفرغة في الفضاء.

وفي بداية عام 1970م ابتدع لويت معرض فراغي، في أحد أعماله الذي يتسم بأنه لايمكن اقتناه، في طريقة جديدة وذلك بالرسم المباشر على الجدران، سمة هذه الرسومات أنها تتلف مرارا في ختام كل معرض، وهو عبارة عن مستطيلات، رسمت بالمسطرة والقلم الرصاص، تناغمت لنتنوع بدرجات اللون الرمادي وتميزت بكتابة خاصة (كما في الصورة).

وخطوط التشريح الداخلي لكل مستطيل، تخلق تناغما موسيقيا، ربما يكون الخط قطريا أفقيا أو حتى عموديا، لتكون في النتيجة تكرارا هندسيا تجريديا ذو جمال يسترعي الانتباه. (2)

وهناك العديد من الفنانين الذين عملوا في مجال " الفن النظامي"، ففي عام 1972م، أقيم معرضا مهما لمجموعة مكونة من (12) فنانا من بريطانيا، هؤلاء الفنانين صنفوا أنفسهم كنظاميين ليشاركوا في معرض (Systems, 1972-3).

يقول الفنان (b.1920) " Malcolm Hughes" (3):

" يبدو وكما ألاحظ أن الفن وعلم الرياضيات لهما نمط خاص يحرهما وفق اتجاهات مناسبة، نحو تطوير ما هو عليه، فالنمط والأسلوب هنا يعتمد على التجريب والتفكير ، وفق شروط مركبة يتم وضعها في شكل نقاط واضحة ونقية، لأن هذا الفن بعيدا عن النسبية والمقارنة".

أما الفنان "Colin Jones (b.1934)" يقول : (4)
"في مجال الانشائية يكون العمل الجزئي في النظام حتمي ولا مفر منه، فهو بناء ، مكوناته عناصر عبارة عن أشكال، ألوان وفراغات مرتبة وفقا لعلاقات رابطة دقيقة، هذا النظام بصري متعادل ومتساوي" كمجموع أفعال أو أعمال" أدركت في الطبيعة.
أمثال الفنانين الانشائيين، ربما يستخدمون اللغات بضبط ودقة ونظام مفعول، لكن الارقام والهندسة ليست هي غايتهم أو قصدهم، إلا أنه ومن خلالها تظهر طاقة التعبير، بالضبط كما يتلاعب المهندسين المعماريين بالأشكال الهندسية.
أن العمل النظامي يمكن أن يقسم ويحلل إلى مجموعات أولية ومجموعات جزئية أو (ثانوية)، وروابط ومكونات.. إلخ. خلال نمو النظام وفق العملية المخترعة يتم تكرار العنصر المفرد واتساع انتشاره، على شكل متتاليات يمكن أن يعبر عنها بالحركة اللانهائية.
وبذلك تكون عملية التشكيل أقرب ما تكون للتكوينات المكونة للموسيقى أو حتى للشعر، لكن هذه التكوينات تخرج في الواقع في شكل ثلاثي الأبعاد صامت يعتمد على تأملنا الفكري".

وأخيرا الفنان "Peter Lowe" (b. 1938): (5)
" يقول الانظمة حاضرة في كل الفنون، فالفن دائما يحول الى أنظمة خارجية، والافكار في الفن تصل الى حدود متسعة بعلم الرياضيات، والعكس صحيح، فالأفكار الرياضية يمكن أن تقدم بالوسائل الهندسية والنماذج ثلاثية الأبعاد، إنما إعادة التوجه في الوقت الحالي نحو الرياضيات يتوافق مع الاعمال النظامية في الفنون، فالتكعيبية مثلا كسرت التقليد وجمعت العناصر في الرسم، وكررت المشاهد بالازاحة والنقل، فرسامي التكعيبية قسموا السواكن تقسيما مرتبطا بالهندسة، لذلك أعتبر أن العناصر الهندسية في الرسم هي الرياضيات.
أحيانا أتساءل هل من مسؤوليات الفنان أن يجعل فكرة عمله واضحة من خلال إخراجها للعمل؟ أو هل هي مسؤولية- العامة - او المشاهد أن يتعلم من تلقاء ذاته؟
الجواب واضح فالفنان عليه من نفسه، وأن يكون خبيرا بما يحاول أن يفعل، فإذا كانت أفكاره غير واضحة من خلال عملة المقدم، فقد يكون هناك خلا أو خطأ في الفكرة وأيضا في العمل".

- (1) Gottlieb, Carla. Beyond Modern Art. New York. E. P. Duthon. 1976.
- (2) History of Modern Art, sixties Abstraction, Sol Lewitt, Page(531-532)
- (3) Systems Art Council 1972- 3, Malcolm Hughes , Pages(22-25).
- (4) Systems Art Council 1972- 3, Colin Janes , Pages(26-29).
- (5) Systems Art Council 1972- 3, Peter Lowe , Pages(34-37).